Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وابحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

قراءة في الرحلة الدبلوماسية للعالم المكي النهروالي إلى الأستانة 1557م /965 هـ

A reading in the diplomatic journey of the Makki Nahrawali scholar to Astana 1557 AD / 965 AH.

فاطمة الزهراء حاج إسماعيل 1، نادية طرشون2، غالي غربي3

1 طالبة دكتورة، مخبر الدراسات التاريخية والمتوسطية عبر العصور- جامعة المدية؛ الجزائر.

hadjismail.fatmazohra@univ-medea.dz

2 أستاذ تعليم عالي، مخبر الدراسات التاريخية والمتوسطية عبر العصور- جامعة المدية؛ الجزائر.

kaligherbi@yahoo.fr

3 أستاذ تعليم عالي، مخبر الدراسات التاريخية والمتوسطية عبر العصور- جامعة المدية؛ الجزائر.

kaligherbi@yahoo.fr

المؤلف المرسل: فاطمة الزهراء حاج إسماعيل (Hadj Ysmael Fatima Zohra)

الإيميل: hadj.mezora@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022-10-21 تاريخ القبول : 2022-12-24

الملخص:

تتناول هاته الورقة البحثية رحلة العالم المكي الشـــيخ قطب الدين النهروالي، التي كانت في أواخر1557م/ 965 هـــــ والذي تم إيفاده من قِبَلِ شريف مكة إلى استانبول للسلطان سليمان القانوني، والذي دون خلالها مذكرته المسماة "الفوائد السُنية في الرحلة المدنية والرُومية" حيث سنتطرق للجزء الذي أوْرَدَ فيه ذِكرَ المدن والبلدات الشامية والأناضولية التي مَرَ بِها، إضافةً لعددٍ لابأس به من العلماء والمسـؤولين العثمانيين الذين اجتمع بهم خلال رحلته، ناهيك عن ذكره لما لَقَاهُ في اســتانبول قلب الدولة العثمانية، وذكره لما كان يُحاك في دهاليزها ابان عصرها الذهبي.

الكلمات المفتاحية: المبعوث الدبلوماسي؛ النهروالي؛ الدولة العثمانية؛ اكتشاف الأخر؛ الرحلات التاريخية.

Abstract:

This paper studies the journey of the scholar Shaykh Qutb al-Din al- Nahrawali at the latter part of Islamic year 965 /1557 AD. Who was sent by the Sharif of Mecca to Istanbul, in order to meet Sultan Sulyeman “the Magnificent”. During this expedition, he wrote his memory titled “al-Fawa’id al-suniyah fi al-rihla al-Madaniyah wa al-Rumiyah”. We focused on the part where he mentioned several Syrian and Anatolian cities and villages he visited, as well as, numerous scholars and ottoman administrative officers; who he met a during his trip. Moreover, where he described what he experienced and faced in Istanbul; the heart of the Empire; and the lobbying activities in the sultan court when the state reached its golden age.

Keywords: diplomatic envoy; al- Nahrawali; Ottoman Empire; the other discovering; historical journeys.

1-مقدمة:

شهدت الدولة العثمانية خلال مَجدها تنقلات حثيثة للولاة والعلماء والقضاة والادباء بين مختلف أقطُارها، وبالأخص لعاصمتها، ولقد رافق تلك التنقلات ازدهار ادب الرحلة، أين كان الرحالة يدونون مشاهداتهم وما صادفهم وما سمعوا به ولقوه اثناء رحلتهم، ومن بين الذين دونوا رحلتهم نجد العالم المكي قطب الدين النهروالي، والذي أصبحت رحلته تعد من أهم المصادر التاريخية والجغرافية في الفترة الحديثة، لما تضمه من معلومات ثرية حول بلاد الأناضول و استانبول عاصمة الدولة العثمانية آنذاك، وطريق قوافل الحج السوري والعثماني والمصري، إضافة للقائه بالأمير بايزيد واجتماعه بالسلطان سليمان القانوني والصدر الأعظم ونخبة من أهم العلماء والمسؤولين العثمانيين وحضوره لجنازة حريم السلطان، ومن ثَمَ قفل عائدا محبطاً مفلساً بالقارب عابرًا بحر ايجة والمتوسط الى الإسكندرية التي اقام بها لفترة، قبل ان يعود برًا مع قافلة الحج المصرية الى مكة. وعليه نطرح التساؤل التالي: الى أي مدى تمكن قطب الدين النهروالي من رسم صورة لإستانبول وبلاد الاناضول من خلال مذكرته الموسومة ب"بالفوائد السنية في الرحلة المدنية والرومية "؟ وفيما تتمثل قيمة مذكرة النهروالي ؟ وللإجابة على هذا التساؤل بدانا بالتعريف بصاحب الرحلة ومذكراته، تم أسباب اختياره لهاته المهمة والهدف منها، ثم تطرقنا لمشاهدات الرحلة في الاناضول وعاصمة الدولة العثمانية، تم تناولنا القيمة التاريخية للرحلة، وختمنا المقال بخاتمة أوردنا فيها أهم النتائج التي تحصلنا عليها.

2- التعريف بالنهروالي ومذكرته:

هو قطب الدين محمد بن علاء الدين أبو العباس احمد بن احمد شمس الدين محمد بن قاض خان بهاء الدين محمد بن يعقوب بن حسن بن علي بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عمر بن محمد، ويعرف بالنهروالي، الهندي، الحنفي، المكي، الكركي، والقادري، ولد في 917 هـ- 1511/ 1512 م [1] في الهند على الأرجح في نهروله[2] والتي كانت تعرف آنذاك بسلطنة غو جرات، وهذا ما يفسر اسمه النهروالي والذي نجده في بعض الكتابات بالنهرواني، وهو عربي الأصل نسبة الى أحد اجداده وهو الفقيه محمد بن إسماعيل بن إبراهيم العداني، الذي انتقل الى هناك في ق7هـ-13م من مدينة عدن الساحلية. ووالد الشيخ قطب الدين هو الشيخ علاء الدين احمد 871-949 هـ/ 1466-1542م، عالم حنفي مرموق وهو معلمه في شبابه، حيث كان مدرساً في مكة المكرمة، التي تتلمذ بها قطب الدين على يد أكبر علماءها وعلماء المدينة المنورة آنذاك، واشهرهم الشيخ محب الدين محمد بن عبد الله المكي.

كان الحجاز حديثَ الانضمام للدولة العثمانية آنذاك، اين حظّر النهروالي نفسه مبكراً للفرص التي يمكن ان تتاح له بإتقانه اللغة التركية الى جانب إتقانه اللغة العربية والفارسية. اثناء اقامته بمصر العثمانية تتلمذ على يد أشهر علماءها، على رأسهم السيوطي[3]، أين قدمه هذا الأخير الى الحاكم العثماني بمصر.

دعاه والي مكة وهو في العشرين من عمره، لمرافقة بعثة هندية للبلاط العثماني، في عهد السلطان سليمان في 942 هـ/1535 م لطلب مساعدات عسكرية عثمانية ضد البرتغال، أين أتيحت له الفرصة لزيارة عاصمة الدولة العثمانية والاجتماع بعدد من المسؤولين العثمانيين وعلى رأسهم الصدر الأعظم الياس محمد باشا، ثم عاد الى مكة أين أكمل مسيرته التعلمية وارتفع شأنه كباحث ومعلم ومرشد ومستشار ومؤلف، وتم الاعتراف بقدراته في كل من الفقه، والحديث، والتفسير، إضافة الي تحكمه في اللغة العربية والشعر. تطورت علاقاته بالعثمانيين في عدة مناسبات، فازداد الطلب على خدماته. كما انه طور عمله الاستشاري الذي أصبح مزدهراً سيما مع المسؤولين العثمانيين الناطقين بالتركية، والحجاج الأحناف زوار المدينة المنورة، خاصةً بعد إصداره دليلاً خاصاً بالمناسك، وأصبح عظيم الجاه عند الأتراك، لا يحج أحداً من كبرائهم إلاّ وهو الذي يطوف بهم ولا يرتضون غيره [4]وكانوا يجزلون له العطاء، حتى أنه استدعي كدليل لعمة السلطان سليمان، وأُكرم من قبل لطفي باشا [5] لنقله رسالته في شرح الفقه الأكبر من التركية الى العربية ثم طلب منه ذلك الوزير ترجمتها الى الفارسية ففعل.

لكن هذا التقارب لم يصل لحد الترويج لسلاطينهم، بل بقي ولاؤه لجانب الأشراف، خاصة مع كبح الممارسات التقليدية للسلطات المحلية بشكل متزايد من المركز الامبراطوري، مما عزز من مكانة النهروالي عند الشرفاء التابعين للدولة العثمانية، الذين استخدموه بدورهم في عدة مناسبات لتلبية حاجاتهم الدبلوماسية.

شَغَفُ النهروالي بالكتب حَمَلَهُ لأخذ مسؤولية ترميم الكتب المهملة الموجودة في معهدِه، ولتوسيع مكتبته الشخصية للمخطوطات، كما عُرف عالِمُنا بغزارته في التأليف، خاصةً في الدين والأدب والتاريخ وعن العلماء الأحناف، ولكن للأسف لم تنجوا كل هاته الكتب وذلك بسبب حريق نشب بيته في 959 هـ/ 1552م والذي دُمرتْ على أثره مكتبته التي أتاحها بسخاء للعلماء، والتي احتوت على حوالي 1500 مخطوط[6] -يقال كان احراقها متعمداً لنجاح النهروالي المتزايد الذي أثار حسد أقرانه– لكن هذا لم يعرقل مسيرته المهنية، على الأقل على المدى الطويل، لكن يبدو أنه قد حول ربما جزئياً من ولائه لشرفاء الحجاز واتجه الى السلاطين أسيادهم، حيث استفاد هو وعائلته من كرم كل من السلطان سليمان وسليم الثاني ومراد الثالث على التوالي، حيث بعد الانتهاء من المدرسة التي وهبها السلطان سليمان لمكة في 975هـ/1567م تم تعينه فيها من قبل السلطان سليم الثاني كأستاذ للمذهب الحنفي براتب محترم، والذي تم زيادته في عهد السلطان مراد الثالث، وقد أدى هذا الى تشبع كتاباته بمديح واضح ومساندة للسلالة العثمانية الحاكمة، وإن لم يكن على حساب تشويه سمعت الشرفاء أو التقليل من احترامهم، كما تقلد منصب الإفتاء بمكة المكرمة، وكذلك أعلى منصب ديني بها وهو منصب القضاء. من أهم مؤلفاته "الأعلام بأعلام بيت الله الحرام"، "طبقات الحنفية"، "مناسك الحج" "**كنز الأسماء في فن المعمى**" [7]، "تاريخ مرتب على السنتين"، "الجامع لكتب السنة الستة في الحديث".

هذه الثقافة الواسعة للنهروالي هي التي اضفت أهمية خاصة على وصفه للبلاد الرومية وأهلها، وانطباعاته التي سجلها خلال رحلته، فهو لم يتخلى عن مذكراته طوال رحلته، حتى في أحلّك الظروف وساعات الياس التي أصابته.

نجد المذكرة تحتوي على ذكر جميع الأشخاص الذين اجتمع بهم، وبمشاهداته والمواقف التي مر بها، والأساطير والفلكلور اللتان سمع بهما، والقوائم المفصلة للهدايا التي قدمها للمسؤولين العثمانيين، ولآليات السياسة التي واجهها في إسطنبول، وذِكرِ الأماكن على طول رحلة الحج الشامية والمصرية وحتى ملخص نفقاته.

تم تسجيل كل هذا وأكثر بدرجات متفاوتة، فلهذه الأسباب وغيرها يمكن القول أن مذكرة رحلة النهروالي هي مذكرة لا غنى عنها في دراسة تاريخ العلاقات السياسية والاثنية والثقافية بين شعوب البلاد العربية والشعوب التركية، أما فيما يخص الأسلوب المتبع في كتابتها، نجده أسلوباً سهلاً وبسيطاً يكاد يخلو من كل المحسنات البديعية على أنواعها، كما تخلو المذكرة من كل علامات الوقف من فواصل أو نقاط، ونجد بها بعض الأخطاء الاملائية، وكلمات بالعامية مع وجود مقتطفات من الكتب والأقوال المأثورة، وآيات من القران الكريم، وأشعار منها ما هو له ومنها ما نقله عن الأخرين تتخللها بين الحين والأخر، لكن ليس بذلك القدر الكبير-الممل أحيانا -الذي نجده في مذكرة بدر الدين الغزي الدمشقي " المطالع البدرية في المنازل الرومية" [8] ومذكرات الكبريتي "رحلة الشتاء والصيف" [9]، ومذكرة الخياري المدني الشافعي صاحب "تحفة الأدباء وسلوة الغرباء" [10]، لكن القارئ لهذه الأبيات يجد أخطاءً في البعض منها، سواءً من حيث المحتوى أو في ذِكر أصاحب تلك الأبيات ، كما ورد في الصفحة 135:

خل التعلل في حمى يبرين ... فهوى حماة هو الذي يبريني
وأطع ولا تذكر مع العاصي حمى ... فيما وراء النهر ما يرضيني
قالوا تسلى عن ثمار شطوطها... فأجبت لا والتين و الزيتون [11]
ياعادلين على محبتها لكم... في ذاك دينكم و لي انا ديني
ولما جرى العاصي وطيع ادمعي... مع الماء قال الناس ايهما النهر [12].

حيث أن البيت الأخير هنا هو لصلاح الدين بن أيوب وليس لتقي الدين بن حجة كما قال النهروالي، وكما كتبت "ياعادلين" هنا خطأً فهي في الأصل "يا عاذلي". ومن الملاحظ كذلك استعمال بعض المصطلحات التركية والفارسية خاصة لما صار في الأراضي التركية، مثل كلمة چلبى، چنته.

وعلى العموم يمكن القول أن النص لا يعد من الأعمال الصعبة أو المعقدة بل على النقيض من ذلك يمكن قراءته وفهمه بسهولة، أما عن النسخة المصورة المتاحة للراغبين في الاطلاع عليها فهي متواجدة بمكتبة بايزيد بإسطنبول تحت رقم 2440وهي تضم حوالي 209 صورة وكل صورة تضم صفحتين، وهي بشكل طولي وكل صفحة تحتوي في المتوسط على قرابة 30 سطراً -ليس الكل طبعا-، وصورة الغلاف ذات لون رمادي تتخلله حمرة وسواد بفعل الزمن، ونجد فيها مربع صغير داخله كتابة غير واضحة إضافة الى كلمة بيازيد وقف 2440، وأوراقها ذات لون أصفر قوي يميل للبني، ونجد بها بعض الصفحات تتخللها فراغات، وهناك صفحات فارغة تماماً، بينما نجد صفحات أخرى مملؤة حتى في الهامش، مما يدل على أنه لم يكن يكتب بشكل منتظم، فكان أحيانا يترك فراغات ثم يعود لملئها، وما يفسر ذلك أنه يذكر أنه ضاع منه الدفتر لفترة ثم وجده، بفضل مساعدة الأمير بيازيد، إضافة لتعرضه لمشاكل مع مرافقيه، وللمرض خلال رحلته.

ما يصّعب قراءة المخطوط أنه كتب بخط يده، وهو غير مشكل كما توجد بعض بقع الشمع به، إضافة الى تأكل بعض الصفحات وهذا طبيعي فهو يعود لأكثر من خمسة قرون. من الملاحظ كذلك وجود عدة ترقيمات للصفحة الواحدة إذ قد تبلغ خمسة ترقيمات أحيانا، مما يصعب على الباحثين عملية التهميش بدقة، كما رصدنا أخطاء في موضعين في التأريخ.

ومن الملاحظ كذلك ان هذه المذكرة تحوي بيان رحلاته المتعددة الى المدينة المنورة، إضافة الى مقتطفات من الكتب والاقوال المأثورة وآيات من القران الكريم، ثم رحلته الى إسطنبول، التي سماها "الفوائد السنية في الرحلة المدنية".

<u>أسـبـاب اختيـار النهروالي للمهمـة وهـدف رحلتـه الى إسطنبول:</u>

في 946هـ/ 1557 م تم اختيار شخصية دينية من مكة الشيخ قطب الدين وهو آنذاك في منتصف العمر من قبل الشريف حسن[13] حاكم الحرمين الشريفين مكة والمدينة المنورة، لرئاسة بعثة متواضعة لكن مستعجلة إلى البلاط العثماني في إسطنبول، حيث اختير لعدة أسباب على رأسها مهارته المعترف بها في اللغة العربية واللغة الفارسية، هذا إضافة إلى إتقانه للغة التركية وتحكمه بها، حيث اثبتت هذه المهارات جدواها في عدة مناسبات في تعاملاته مع المسؤولين العثمانيين، وتمكنه من مصاحبتهم. إذ أنه شارك في شبابه في سفارة هندية للأستانة، أين تم تقديمه إلى السلطان آنذاك. والسبب الثاني الهام أيضا هو كونه أحد أتباع المذهب الحنفي

- لمذهب الرسمي للعثمانيين والحكام الجدد للحجاز-. ولهذا كان الشخص المناسب لهاته المهمة.

كان النهروالي واضحاً في طرحه لهدف رحلته للقارئ، حيث أشار في بداية رحلته إلى أنه إنما ارتحل الى إسطنبول لمهمة معينة، والتي كانت تأمين عزل المسؤول "دلوبيري" قائد الحامية العثمانية في المدينة المنورة، المعروف بعدم احترامه لأشراف مكة المعتمدين من طرف العثمانيين والمتحدي لهم، إذ يقول النهروالي "وتوجهنا إلى باب السلطان إنما هو لإخراج دلوبيري من المدينة لشدة فظاظته وبغضه لآل النبي صلى الله عليه وسلم وسوء معاملته معهم هلكه الله تعالى" [14]. وهو على عكس العالم بدر الدين الغزي الدمشقي الذي سبق النهروالي في السفر إلى إسطنبول سنة 1530م و مذكرته سماها "المطالع البدرية في المنازل الرومية" أين لم يفصح فيها عن السبب الحقيقي لرحلته صراحةً بل اكتفى بالإشارة اليه بقوله" انني استخرت الله تعالى وما خاب من استخاره ،واستشرت كما امرت من هو اهل الاستشارة في السفر إلى البلاد الرومية قاصداً محل تحت الملك مدينة القسطنطينية لأمر اقتضى ذلك" [15]، ثم نستنتج السبب من خلال "وإنما كان كلام الباشا معه بسببي وتحريضه عليه بما يتعلق بي بسبب كتابته براءات بتجديد ما بيدي من الجهات وشؤون أخرى لا تبرر وقد انقضني كل منها بحمد الله وتنجز" [16]، ولعل العديد ممن قصد الآستانة في تلك الفترة وما بعدها كان بدافع الشكوى للسلطان ،وهو حال العالم الخياري الذي زار الباب العالي بعد النهروالي بأكثر من قرن في سنة 1669 والذي أوضح في مقدمة رحلته أن الغاية من سفره التظلم للسلطان لوظيفة التدريس بأحد المعاهد العلمية التي سلبت منه [17].

ومنه مما سبق يمكن القول أن النهروالي ذهب رسولاً من قبل شريف مكة حسن بن أبي نمي إلى إسطنبول في مهمة رسمية -سفارة رسمية- ليطلب من السلطان سليمان خلع والي مكة دولبيري، وكانت رحلته ممولة من طرف الشريف حسن بن أبي نمي، حتى أنه كان طوال الرحلة يقيد مصاريف رحلته بالتفصيل، لكن هذا الطابع الرسمي لرحلته لا يعني خلوها من الجوانب الاستكشافية والاستطلاعية وما يؤكد قولنا هذا هو تأليفه "للفوائد السنية في الرحلة المدنية والرومية " والذي من خلال قراتنا له نجد نوع من الاهتمام ببلاد الروم، وما يوجد فيها من عناصر اجتماعية ودينية وثقافية وعمرانية متعددة، ولم يكن هذا الاهتمام حكرًا على شيخنا النهروالي فقد شاركه كتاب وأدباء عرب آخرون، فنجد ابن بطوطة ومذكرته "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، أبي الحسن التمكروتي في مؤلفه "النفحة المسكية في السفارة التركية" والكبريتي في مذكرته "تحفة الأدباء وسلوة الغرباء" وآخرون شدوا الرحال إلى إسطنبول وتركوا لنا رحلات مدونة تصف لنا أحوال بلاد الروم، وأحوال البلاد العربية تحت حكم آل عثمان.

3- مشاهدات الرحلة في الأناضول واستانبول:

انطلق الشيخ قطب الدين من مكة المكرمة رفقة قافلة صغيرة تضم أخيه عبيد وبعض الحيوانات الجرارة لحمل المؤن والهدايا في الأيام الأولى لمحرم 965الموافق لاكتوبر1557م، بمعية قافلة عودة الحجاج الشامين[18] حتى دمشق، ثم عبر الاناضول ووصل للبلاط الامبراطوري العثماني ، وبانتهاء مهمته ركب السفينة الي الإسكندرية من ثم للقاهرة اين اقام بها لفترة قصيرة عند صديق قديم له، ثم عاد برا برفقة قافلة الحج المصرية الى مكة التي كان غادرها قبل 11 شهرًا.

بدأ الشيخ قطب الدين مذكراته بتقديم يعرفنا فيه مضمون رحلته، حيث يقول "بعد بسم الله الرحمن الرحيم فيما يلي هو تقرير حول ظروف رحلتي للباب العالي للقيام بمهمة من طرف سيدي الشريف وخادم الحرمين الى الحاكم العظيم سيد ملوك العرب والعجم سلطان زمانه سليل الاسرة العثمانية الى السلطان سليمان خان" [19] وكلمة تقرير هنا تعطي سبغة رسمية لمذكراته. كانت بعثة النهروالي متكونة من عشرة أشخاص: هو وأخوه والباقي عبيد" وكان معي أخي مولانا محب الدين حبيب الله وجوهر سرور وياقوت وكيوان وإسماعيل الكردي وجوهر الشريفي وفرحان الشريفي وأحمد الشويمي" [20]، هذا وانضم إليهم العبد كيوان انطلاقاً من منطقة تدعى معرة النعمان، وعلى أغلب الظن أنه بقي معهم، ولكّن النهروالي يقول لما وصل إلى بغراس ونزل في تكيةِ هناك قُدم له ولجماعته فيها خمس طاسات شربة، وخمسة أرغفة، وهنا نطرح تساؤل حول عدد رفقاء النهروالي في هاته المرحلة؟ لما مر النهروالي ببلاد الشام وحمص وحلب كان يذكر تفاصيل كثيرة وهامة عن أحوال المجتمع والأسواق والمزارات والمساجد والأئمة والعلماء وأسهب في الحديث عمن اجتمع بهم، هذا إضافةً إلى ذكره للمهن المتواجدة بها كما تعرض لتاريخ المنطقة، أين مكث بها لشهرين بسبب الشتاء، ثم سرعان ما واصل رحلته مع قافلته الصغيرة عبر الأناضول، ويمكن لمس التغير بسهولة - من الأراضي العربية الى الأراضي الرومية- والذي يظهر في تغيُّر

أسماء الأماكن والخانات والبلدات من الأسماء العربية الي الأسماء التركية، حتى أنه صار يكتبها بالحرف التركي. وضف لذلك التغير في الطراز العمراني حيث يذكر رؤيته لأبنية عجيبة، وكنائس كبيرة بل حتى مهولة، كما نلاحظ في هذه المرحلة كثرة القبور والجسور والبنايات المنحوتة مع ذكر أصحابها الذين تعود اليهم، ويذكرُ التكايَا ومن أَمر ببنائها ويقدم وصفا لها، فيقول:" بتنا في تقاد الى الفجر ورحلنا ومررنا بالحلقة وفيها أبنية عجيبة وكنايس مهولة وقبور للكفار القدماء وطريقها صعب من فخار ووحل ...بتنا في كندزلي في بيت بعض التركمان ورحلنا صباحا ومررنا على جسر ومخاضات ومهاوٍ ثم صعدنا عقبة بغراس فمررنا بمصاعد ومهاوي ولفات في جبال شاهقة" [21]. هذا طبعاً بالتوازي مع وجود بنايات ذات طابع إسلامي، فيقول: "وصلنا قرية تيزين ظهر بها مسجد عظيم ومأذنة عظيمة بناء الأقدمين" [22]. من الملاحظ كذلك وعُورة التضاريس والمناخ البارد القاسي -الغير متعود عليه الشيخ - كان يشتكي منه مرارً فيقول: "أقمنا في الغين لشدة البرد وكثرة الثلج والهواء البارد كأنه المسامير وأصبحت الطرقات مختفية من كثرة الثلج" [23] ونستنتج من كلام الشيخ كثرة المياه في المنطقة، سواءً من شلالات أو أنهار، وهو بدوره ما يؤدي لكثرة الجسور والقناطر، كما كانت هناك منابع حارة تقام عليها الحمامات، يذهب إليها الناس للاستحمام أو للتداوي. يذكر النهروالي انتهاء التعامل بالفضة المحلَّقة وبداية التعامل بالعملة العثمانية، بل حتى أنه يقدم لنا سعر صرف العملة آنذاك "كل تسعة وخمسين عثمانياً بأشرفي ذهب" [24] وكان ذلك بداية من قرية "اولو تشلاق. ومن الأشياء الملفتة للنظر هي كثرة القلاع والحصون والاستراحات والخانات على طول طريق قوافل الحج من المدينة المنورة الى إسطنبول، فلم يذكر أنه لاقَ أي صعوبة تذكر في المبيت له او لمرافقيه على حد سواء أو حتى لدوابه، فكان أحيانا -قليلاً- ينزل في ضيافة أحد أصدقائه الذين كان يجتمع بهم في الحجاز، وهم من ذوي المراكز الهامة أو علماء، ولكن في أغلب الأحيان كان ينزل في خانات، وكل الخانات التي مكث بها كانت مجهزة على نحو ما، حيث كانت تؤمن له ولمرافقيه احتياجاتهم، والتي كان اغلبها ان لم نقل جلها يكتب على أبوابها تاريخ انشاء هذا الوقف وصاحبه، والذي كانت اغلبيتهم من سلاطين وكبار رجال الدولة، وان دل هذا على شيء انما يدل على قدسية و اهتمام العثمانيين الكبير بهذا الطريق، وحرصهم على تأمين راحة الحجيج المتوجهين لبيت الله الحرام وتأمين أمنهم واحتياجاتهم، فبعد أن هزم السلطان العثماني "سليم الأول "جيش المماليك في معركة مرج دابق 1516 أعلن أنه سيحمل لقب "خادم الحرمين الشريفين" [25] وأصبحت هذه سنة اتبعها خلفاؤه السلاطين من آل عثمان. حتى أنه كانت هناك قرى استحدثها العثمانيين حيث تم جلب التركمان واسكانهم بها ليعمروها، و في المقابل تم اعفاؤهم من الضرائب، قال النهروالي "فوصلنا قبل العصر الى قلعة بقرب البحر المالح ثم صعدنا جبلا فوصلنا قبل العصر الى قلعة بقرب البحر بناها السلطان سليمان حفظا للطريق فئن النصارى خذلهم الله كانوا يصلون في الاقربة الى هذا المحل ويقطعون الطريق ويأسرون المسلمين في هذا المكان فساق السلطان الى هذا المحل ناس وعمربه قلعة عظيم ودكاكين واجرى اليها الماء وكانت القلعة بنيت في سنة953 واسم القلعة مركز" [26][27]، فمنذ تبني الخليفة العباسي "هارون الرشيد" وظيفة خدمة الحجاز والحجيج خاصة اعتبر الخلفاء والسلاطين خدمة الحرمين الشريفين شرفا يسعون اليه ويتسابقون عليه ،وسار سلاطين آل عثمان نفس حذوهم، وقاموا بإنشاء العديد من المؤسسات الخيرية لهذا الغرض سواء في الحرمين الشريفين او على طول طريق قوافل الحجيج.

و مثل ما تعودنا عليه في كتب الرحالة و هو ادراج العديد من الحكايات على راسهم ابن بطوطة الذي يكثر منها ،فلقد سار النهروالي على سيرهم، وأورد لنا في مذكرته البعض منها ،مثل الأسطورة عن قرية تسمى اركلي حيث قال "مررنا بتلال و وهاو ومياه الى ان دخلنا اركلي بعد العصر اجتمعت بإمام جامعها سنان خليفة و داشمندا سنان افندي قاضي العسكر سابق واخبرني ان هذه البلد بناها هرقلينوس ...وان هرقلينوس رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يدعوه الى الإسلام فطلب منه معجزة فقال له ان بلدي هذه قليلة الماء وأريد ان يجري فيها نهر فقال له خذ ايه من كتاب الله تعالى وتكتبها في ورقة وضعها أي موضع شئت ينبع منه الماء ويعم بلدك فلما استيقظ حكى ذلك لبطارقته وأركان دولته فاستبعدوا ذلك ووعدوه بالإسلام ان صح ذلك فاخذ اية من كتاب الله وكتبها ...ووضعه في شق صخرة فنبع الماء بقوة حتى صك وجهه وعم جميع بلده بالماء وصار نهرا عظيما فامن هو واهل دولته بالنبي صلى الله عليه وسلم" [28].

من بين العلماء الذين اجتمع بهم في الشام و قدم تعريفاً لهم نذكر الشيخ "شمس الدين محمد بن هلال الحمصي" والشيخ

"علاء الدين علي بن عماد الدين الشافعي" أما من بين العلماء الذين اجتمع بهم في إسطنبول هو شيخ الإسلام "أبو السعود أفندي"، فيقول "توجهت للسلام على حضرة المفتي الأعظم مولانا ابي السعود خلد الله تعالى ظلاله...وصار يخاطبني بألفاظه الباهرة الفصيحة العربية ...وذكرنا له أحوال بيري فاظهر لنا التألم لذلك ...فكنت مصغيا مستفيدا" [29] وأعطى تعريفاً لابنه "أحمد جلبي" فيقول "كان مدرساً في احدى المدارس الثمانية ...فرأيت ذات شريفة في غاية الذكاء ...كان يحاكي والده في فخامة الفاظه ...وانشد لي شعره بالعربية والفارسية والتركية ابياتا في غاية التمكن والجزالة ...اخبرني ان مولده الكريم يوم السبت ثالثة شعبان سنة 944 ...وانه صار معيدا عند والده بمدرسة السلطان بايزيد في سنة 962 ثم صار مدرسا في مدرسة الوزير الأعظم رستم باشا بخمسين عثمانيا وانه يدرس الان في الهداية وشرح المواقف وشرح المفتاح وينقل صحيح البخاري". التقى الشيخ النهروالي في طريق رحلته وخلال مكوثه بإسطنبول بأشخاص كانت تربطه بهم سابق معرفة وعلاقة صداقة وذلك اثناء زيارتهم للحجاز وكان للقائه بهم الأثر الحسن وذلك للمساعدات التي قدموها له ونذكر منهم "حكيم باشي بدر الدين القيسوني "حيث يقول "زارني حكيم باشي افتخار العلماء العظام مولانا بدر الدين القيسوني وكان صديقاً صدوقاً وبين وبينه صحبة قديمة ...وجاءني الشيخ بدر الدين القيسوني حكيم باشي السلطان مرة ثانية وهدي الى دجاجا مذبوحا ...فتعجب الناس من محبته الي ولم يعلموا ما بيني وبينه من الاتحاد وعدم التكلف" ومن بين الأشخاص الذي كانت تربطه بهم سابق معرفة "حكيم جلبي افندي "والذي قال عنه انه كان مقبول الشفاعة عند الوزراء وقضاة العسكر وانه اضافه واكرمه واحسن اليه وكان النهروالي يستشيره لما يختلف عليه الأمر .

من بين الأحداث الهامة التي حصلت مع النهروالي في طريق ذهابه للآستانة هي لقائه بالأمير بيازيد[30]، ابن السلطان سليمان الذي كان آنذاك حاكما لسنجق كوتاهية وكان مقر اقامته يدعى "قرة ايوك "حيث سماه الشيخ قطب الدين بالسلطان بيازيد وهو باعتبار ما سيكون لكون السلطان سليمان كان لايزال حيا ،حيث كان يسعى الأمير بيازيد كحاكم لولاية كوتاهية للحصول على الدعم لنفسه ،خاصة بين الأشخاص الذين تهتم بهم الإمبراطورية كمؤلف الرحلة كونه مبعوثا لشريف مكة التابعة للعثمانيين ،والتي لها نفوذ ومكانة في العالم الإسلامي ككل .لقد تمت استضافة الشيخ قطب الدين في بيت لائق وكان يجلب لهم فيه الطعام من مطبخ الأمير بيازيد والذي كان على لسان النهروالي غاية في التأنق ، ذهب الشيخ قطب الدين للقاء الأمير بيازيد في مكان اقامته يوم الثلثاء 1 شهر جمادى الأولى ،وهو بصحبة أخيه محب الدين وجوهر صغير واحمد الشويمي لما ارسل الأمير في طلبه ،اخذ هدايا له وللمقربين منه وتم ذكرها بالتفصيل في المذكرة ،اين تم استقبالهم على احسن وجه ، ومما ذكره النهروالي عن هذا اللقاء هو امتلاك الأمير بيازيد لعبيد من أصول مختلفة منهم من هو من مماليك السلطان الغوري، ومنهم من هو من عبيد الحبشة، لكن الشيء الأكيد والمشترك بينهم ،هو خدمتهم للأمير بيازيد بكل تفاني وإخلاص ،هذا إضافة على كونهم اهل علم وحنكة، ولقد قدم وصف دقيقا للمقابلة سواء من ناحية المكان او الضيافة التي قدمت لهم او من ناحية الحوار الذي تم بينه وبين الأمير "وصلت الى المحل الذي فيه السلطان بيازيد فأجلسوني في الدهليز وهو مفروش جميعه وجاؤ بالسكر فشربته وكان معي اخي وجوهر صغير وادخلونا على السلطان والطريق مفروشة فرايته جالس على تخت وعلى يمينه شمعدين فضة والشموع تقد الان الوقت كان مظلما ...فقبلت يمينه وفيه رايحة المسك والعنبر وعلى راسه عمامة فيها سرقوج من خواص السلطنة " [31] وبعد انا تبادلا التحية والسلام سال الأمير بيازيد النهروالي عن أحوال الاشراف والعلماء وعن اوقاف الحرمين ووعد الأمير بإخراج جميع اوقاف المسلمين بالتمام والكمال وحتى انه وعد بزيادتها ان آل له الحكم بعد والده ،تم اشتكى له النهروالي عن الظلم الحاصل في ديار العرب ،في مصر والشام وحلب، وابدي الأمير استياءاه من تلك الأوضاع ، وهنا يظهر تساؤل اخر وهو حول تصرف النهروالي هذا؟ هل هو عن طيب نية ام غباء من الشيخ؟ فبهذا الكلام اساء للسلطان سليمان بحضور ولده الأمير بيازيد .ثم بدا النهروالي يذكر في صفات الأمير وأولاده" كان فاضلا شاعرا ذكيا له حسن الخلق وتواضع ومحبة للخير مع جسارة واقدام وشجاعة وله من الأولاد الذكور السلطان اورخان وهو اكبر أولاده وله حسن فايق والسلطان عثمان والسلطان محمود والسلطان عبد الله ومن البنات من مهرماه سلطان وهي اكبر بناته وعمرها يومئذ احدي عشر عاما وخديجة سلطان عمرها ثمانية أعوام وعايشة سلطان وخان زاده سلطان من أمهات شتى الا السلطان عثمان والسلطان محمود فانهما شقيقان "ثم يذكر

النهروالي ان الأمير كان يعيش حياة مترفة وكانت والدته هي من تؤمن له ذلك المستوى من المترف من الحياة بما كانت ترسله له كل عام والتي كان يرسل منها صدقة الحرمين، ولما فرغ النهروالي من لقاء الأمير عاد لمقر اقامته لإكمال رحلته ،وما تجدر الإشارة اليه هنا ان هذا اللقاء الذي جمع النهروالي بالأمير بيازيد يوحي بالتوصل الى نوع من الاتفاق بينهما ،وهاته النقطة تستحق بعض التفكير لما لها من تأثيرات على ما تؤل اليه نهاية مهمة النهروالي ،حيث انه ان كان توصل الى أي اتفاق مع الأمير عشية تنافسه على الخلافة مع أخيه سليم الثاني ،المرشح بقوة من قبل والدهم وكبار المسؤولين في الدولة ،فان اخبار هذا لاتفاق -التي من المؤكد انها سبقت النهروالي الى إسطنبول-ستعرض نتيجة رحلته الى الخطر ،بل حتى مجرد معرفة السلطان سليمان بهذا اللقاء يضر بسمعة النهروالي.

حديث النهروالي حول البلدات التي كان يمر بها كان جد مقتضب ،خاصة لما دخل الى الاناضول اين صار يكتفي بذكر الخان الذي يبيت فيه ،وجوامع ومدارس تلك البلدة ،والمسؤول العثماني فيها وامامها وقاضيها ان وجد مع ذكر رواتبهم ،بمصطلحات بسيطة خالية من أي تنميق او اندهاش او اعجاب او استعمال لمحسنات بديعية ،وهو ما يعطي الصبغة الرسمية لمذكرة النهروالي، وهذا على العكس تماما مما نجده في المذكرات التي ذكرتها سابقا والتي كانت قريبة من عهد النهروالي نسبيا ،والتي نجدها مليئة بعبارات الجمال والاندهاش والمدح وكلها محسنات بديعية تعطي الكلام جمالا ورونقا وتطرب به الاذن وحتى نوضح هذه الفكرة اكثر نأخذ مثال مدينة أدنه فالنهروالي يقول عنها "هي بلاد ابن رمضان وحاكمها بيري باشا وهم بلاد سلطنة من ملوك الطوايف أيام الجراكسة كانو تارة يطيعون صاحب مصر وتارة يطيعون صاحب الروم وفيهم انفة للملك الى الآن ...ثم سيرت في هذه البلاد فرأيت في هذه البلد جامعين كبيرين ومدرستين كل مدرسة بخمسين عثمانيا ...واجتمعت بخاطب جامع أدنه الكبير وله فضل ووظيفته بثمان عثمانية لكل يوم " وقال عنها الغزي لما مر بها "فوصلنا حينئذن مدينة أدنه وهي مدينة صغيرة مستحسنة ،قد استوعبت من الظرف اجناسه وانواعه واستوعبت من اللطف شيمة وطباعه ذات رياض انيقة واشجار وريقة ...مساكن حسنة باهلها معمورة وأسواق بجميع ما يحتاج اليه مغمورة ويتوصل اليها من جسر عظيم على نهر سيحان ويمر بخلالها وجوانبها هذا النهر كالثعبان" [32] كما قال عنها الخياري خلال مروره بها "حتى انتهينا عند طلوع الفجر الى المنزل المقصود المسمى أدنه واذا بابها مركب على كبري حجري عظيم طويل يمر من تحته نهر جار وهو سيحون ...وبعده بقليل مسجد مشرف على الاكناف له خوارج مطلة على النهر المذكور من جهة ير الداخل للبلدة وامامه بقليل على اليمين الداخل قلعة البلدة وهي عظيمة الوضع وامام بابها على جهة اليسار الداخل سوق طويل مشتمل على أشياء كثيرة مما يصنع ويباع ...وفي البلدة مساجد متعددة والبلدة جميعها قديمة البناء واهية الارجاء " [33] ومن هنا يمكن ملاحظة الاختلاف في الوصف والطرح بين النهروالي وباقي الرحالة فنجد النهروالي شحيح الوصف يتناول الأشياء الرسمية حول المنطقة، بينما نجد وصف الرحالة الغزي كان حديثه إيجابي في معظمه وصفه للبلدة واهم مبانيها أسواقها وعماراتها ،وكلة محسنات بديعة وهو نفس حال الرحالة الكبريتي، وهذا الكلام نستطيع تعميم حول كل البلدات الرومية التي توقف فيها النهروالي.

حتى لما دخل الى إسطنبول كان دخولاً باردًا جافاً لا يرقي للحدث "نزلت في صندل الى إسطنبول يوم الأربعاء وكان البرد شديد فنزلت في بيت الافندي عبد الباقي وبت عنده واستمرت الاحمال في اسكودار" [34] على عكس الكبريتي في مذكرته "اقبلنا على القسطنطينية المحببة ولاحت لنا بهجة تلك الأراضي السنية وارتفعت اعلام تلك الديار العثمانية ،واضاءت انوار القباب الخاقانية" [35] وللمديح بقية وهو نفسه ما نجده عند الغزي في المطالع البدرية "ومعلوم ان هذه المدينة دار الطمأنينة وقاعدة الروم وام المدائن ومقر الملك ومركز دوران الفلك ومحط الرحال ومآل الترحال ومعدن الفخار وموطن الرؤساء والكبار ومنبع الاقبال ومربع الآمال ومنتهى المقاصد والمطالب"[36]. لما كان النهروالي في الطريق كان يذكر الاثار القديمة المتهدمة، بينما على العكس من ذلك لما وصل الى إسطنبول لم يذكر معالمها العمرانية الكبيرة، كجامع محمد الفاتح او طوب كابي او مجمع السليمانية - مازالت هذه المعالم تبهر الزوار الى يومنا هذا - وهذا ما يثير التساؤل؟ [37]، حتى انه بقراءة مذكرته تتكون في مخيلتك صورة سوداء عن إسطنبول، من مرض وموت ومؤامرات وتحالفات وافتراءات. رافق النهروالي سوء الطالع على طول رحلته فإضافة لمشاكله مع رفقاءه والمناوشات الي كانت تحصل بينهم بين الحين والأخر ،نجد قساوة الظروف المناخية ووعورة الطريق ،وضياع حقيبته ،ومرضه الشديد لما وصل إسطنبول، لكن هذا كله لا يمكن

مقارنته بمشكلتين كبيرتين اخرين واجهما لما حل بإسطنبول ،أولا: مشكلته مع الحجازين المتواجدين بإسطنبول الذين أرادوا ضمه لجانبهم للافتراء على قاضي المدينة آنذاك ، ولما رفض النهروالي السير على هواهم ،شرعوا في الحط عليه هو شخصيا ،حتى كتبوا بذلك رسائل بعثوها لمصر والشام ومكة المكرمة والمدينة المنورة لإلحاق الأذى به ،حتى ان مرافقيه انقلبوا عليه وتخلو عنه وراحوا يقللون من شانه ،ثانيا :وهو مرض زوجة السلطان سليمان وام أبنائه وهو ما حال دون لقائه بها ، وعطل لقاؤه بالصدر الأعظم وحتى لما التقي به كان مشغول البال بمرضها "كان في غاية شغل الخاطر من قبل توعك الخاصكية "حتى انها توفيت وكان النهروالي لايزال باستانبول وحضر جنازتها "يوم الجمعة 26جمادى الآخر توفيت السلطانة الخاصية ام السلاطين وكانت مستمرضة منذ مدة، وأصلُ مرضها حصل من أكل السمك الطري" [38].

اجتمع بالصدر الأعظم يوم 15جمادى الثانية ونقل له شكوى الشريف ومطالبه وهداياه، ثم في اليوم الموالي قابل علي باشا وهو الوزير الثاني -على حد قول النهروالي – ثم التقى في اليوم الذي يليه بمحمد باشا الوزير الثالث تم التقى بالوزير الرابع بيرتو باشا ثم توجه الى اسكي سراي محل إقامة زوجة السلطان سليمان وقدم الهدايا خاصتها ،وبعدها توجه للقاء ابنتها مهرماه سلطان زوجة الصدر الأعظم رستم باشا والتي اكرمته غاية الاكرام ،لكن فرحة النهروالي تظهر جلية عند لقائه بالعلماء والشيوخ والذي على راسهم شيخ الإسلام ابي السعود افندي وولده وحكيم جلبي ومحمد بن محمد القصوني المصري الحنفي رئيس الأطباء ،تم كان الحدث الجلل الذي انتظره الشيخ النهروالي وهو لقاء السلطان سليمان ،والذي تم بعد 12 يوماً من وصوله لاستانبول، أين قدم له الهدايا وشكوى الشريف وعروضه، ثم صار يتردد على الديوان السلطاني بين الفنية والأخرى لمعرفة رد السلطان، والذي للأسف كان سلبي وبقي مصرًا على إبقاء بيري ريس واكتفى بالتفتيش عليه، وهو ما أحزن النهروالي كثيراً، وما جعله يقوم بمناورة أخيرة والمتمثلة في إعطاء رسالة الشريف الثانية للسلطان والتي تقضي باستقالة الشريف وتنحيه تماما في حالة بقاء بيري ريس والتي فشلت بدورها وبقي السلطان سليمان مُصرًا على بقاء الاثنين معا، وهنا اجبر النهروالي على بعث رسالة لشريف مكة يخبره فيها بفشله في مهمته وأضافوا عليها رسالة أخرى كلها اتهامات للنهروالي للضرر به عند الشريف" واشاع عنا اخبارا لا اصل لها وذكر للسادات ان فلانا لم يتكلم في امركم وانما توجه لأمر يعلمه ...فصدقو ذلك وتغيرت خواطرهم الشريفة وسقطت من اعينهم وكذلك مولانا السيد حسين نسب الي تقصيرات، وصدق بما وصل اليه من الأكاذيب " [39].

ان رفض السلطان سليمان لطلب النهروالي لا يعني اهماله شؤن الحجاز او عدم الاهتمام بها، بل على العكس من ذلك ان السلطان سليمان قام بالعديد من التجديدات بالحجاز وله العديد من الأوقاف بها هو وزوجته، انما هي ضروريات السياسة. في أن فشل مهمة النهروالي يعود لعدة عوامل، ونجد في مقدمتها السياسات الدينية التي تتم حياكتها في عاصمة الإمبراطورية العثمانية، بالإضافة الى التكتلات والأحزاب آنذاك، والخلافات والحقد والضغائن وسط الحجازين هناك. حتى لا يحظى النهروالي باي اهتمام واعتبار، سبقه الحجازيون المتواجدون في الآستانة الى الصدر الأعظم رستم باسا، وراحوا يوغرون صدره عليه ،وقالو له ان البعثة القادمة من الحجاز عبارة عن عبيد للشريف يصحبهم مرافق يعرف اللغة التركية لا اكثر ولا اقل، وعلى اثر هذا الفشل عاد النهروالي محبطا مفلسا على متن سفينة عابرا لجزر بحر ايجة والبحر المتوسط، من ثم الى الإسكندرية حيث اقام بالقاهرة لفترة، أين عقد اجتماعات مع مسؤولين عثمانيين محلين، قبل ان يعود الى لمكة برا رفقة قافلة الحج المصرية ،التي وصل اخبار فشله اليها قبل وصوله حتى انه لم يجد أي احد في استقباله.

4- القيمة التاريخية للرحلة

تعتبر مذكرات الرحالة العرب مصدراً تاريخياً هاماً لا يجب على المؤرخين إهمالها لما تتضمنه من مادة تاريخية متنوعة، سجلها الرحالة اعتمادا على ملاحظته المباشرة او كان قريبا من الحدث، ان الهدف من رحلته او فشلها ليس مهما بقدر يومياته اثناء رحلته، والتي تضم في ثناياها معلومات تاريخية هامة، حول الدولة العثمانية خلال عصرها الذهبي في عاصمتها، ودواوينها، وفي قلب الأناضول، هذا وناهيك عن طريق الحج من المدينة المنورة الى الآستانة، بطرقه وبلداته وخاناته.

ان الامتداد الجغرافي لرحلة النهروالي الطويلة مكنه من العبور بحواضر سبق لها ان شهدت المجد، كدمشق والقاهرة والإسكندرية ،لكنها أصبحت كلها تابعة للحاضرة الجديدة وهي إستانبول .إضافة الى سرده المطول اللقاء الهام الذي جمعة

بالأمير بيازيد الباحث عن الدعم له ويدرك الباحثين أهمية هذا القاء لشح المعلومات حول هذا الامير ،كذلك العديد من الاحداث الهامة التي عاشها في استانبول، والتي على راسها لقائه بالسلطان سليمان القانوني ،ولقائه بالصدر الأعظم للدولة العثمانية رستم باشا، كما التقى بشيخ الإسلام أبو السعود افندي ،وشهد موكب جنازة حريم السلطان سليمان . قيمة المذكرة للباحثين كبيرة فهي تمدنا بمعلومات حول نمط الحياة آنذاك قلب الدولة العثمانية وما يحاك في دهاليز الديوان وما يحدث في مجالسها، كما يعطينا النهروالي افكار مفتاحية حول ديناميكية السلطة بين افراد الطبقة الحاكمة في الإمبراطورية.

كما تمكننا هذه الرحلة من رسم طريق قوافل الحج الشامي ثم من الشام للأستانة [40]، وأهم محطاته وخاناته ومساجده والمدارس والأساتذة العاملين فيها، إضافة للقضاة والعلماء الذين اجتمع بهم فهي عبارة عن مادة أولية وعلى الباحثين دراستها، كما قدم الشيخ قطب الدين في عديد الأحيان نبذة عن حياة بعض العلماء أو القضاة فنجد مذكرة النهروالي تَضم في طياتها مادة تاريخية قيمة عن الحياة العلمية والدينية والثقافية، فنجدهُ يقدمُ تعريفً لعدد هام من العلماء، حيث يذكر تاريخ ميلادهم وتاريخ وفاتهم -ان كانوا أمواتً-مع ذكر مؤلفاتهم وأولادهم حتى أنه في عديد الأحيان يذكر حتى رواتبهم والتي كان يقدمها بالعملة العثمانية، كما يمكن للمؤرخين المهتمين بدراسة المواد الاستفادة من الوصف المطنب للنهروالي للهدايا التي كانت تضم مواد متعددة تعود لتلك الفترة ،كذلك مرض زوجة السلطان يعنى الباحثين في تاريخ الطب ويخدم أبحاثهم.

5- خاتمة:

على الرغم ان الشيخ قطب الدين النهروالي من أهم الشخصيات العلمية والدينية في القرن 16 في الحجاز، وبالرغم من أن مخطوطه الذي تناولناه في دراستنا هذه، هو مخطوط فريد من نوعه ولكن للأسف انه لايزال مسودة لم يتم تحقيقها بالغة العربية بعد، ولم يلق عناية الباحثين والمؤرخين العرب التي يستحقها، في حين قام المؤرخ رتشارد بلاك بورن بتحقيقها بالغة الإنجليزية، وتناولها بشكل مقتضب المؤرخ حمد الجاسر في مقدمة مؤلف النهروالي "البرق اليماني في الفتح العثماني" الذي أشرف على طباعته، والمؤرخ التركي اكرم كميل الذي حققها بالغة التركية. وبالتالي فالمخطوط مجال واعد للبحث-للمهتمين بالقرن 16خاصة- لما تكتسبه رحلة النهروالي من أهمية خاصة لكونها مصدرا دون بواسطة شاهد عيان عاصر الأحداث وقام بتسجيلها في حينها.

الشكل (1): طريق الذهاب والعودة لرحلة النهروالي[41]– بتصرف الكُتاب.

6- قائمة المراجع:

- إبراهيم بن عبد الرحمان الخياري، تحفة الادباء وسلوة الغرباء، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980.
- ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971.
- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميرى، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، مكتبة لبنان، لبنان، 1974.
- احمد وصفي زكريا، جولة اثرية في بعض البلاد الشامية، المجلد: 2، دار الفكر، سورية، 1984.
- بدر الدين محمد العامري الغزي، المطالع البدرية في المنازل الرومية 1499-1577، المجلد: 1، دار السويدي للنشر والتوزيع، الامارات العربية المتحدة، 2004.
- جلال الدين السيوطي، الوسائل الى مسامرة الأوائل، مكتبة الزوراء، بغداد، 1950.
- خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين، ج5 المجلد: 7، دار الملايين، بيروت، 1986.

- قطب الدين النهروالي، الفوائد السنية في الرحلة المدنية والرومية، علبة 1440، مكتبة بايزيد، إسطنبول، (مخطوط).
- قطب الدين النهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تح هشام عبد العزيز عطاء، المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز، مكة، 1996.
- قطب الدين النهروالي، البرق اليماني في الفتح العثماني، ا،ش، حمد الجاسر منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، 1967.
- محمد بن عبد الله الحسيني الموسوي الكبريتي، رحلة الشتاء والصيف، تح محمد سعيد الطنطاوي، المجلد: 2. المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، 1385 هـ
- محمد بن علي الشوكتني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج2. دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.س.ن.
- محمد علي الأحمد، التأثيرات العثمانية عل طريقي الحج الشامي والمصري - دراسة مقارنة ع 3(1). Akademik Platform İslami Araştırmalar Dergisi، 3(1)، 2019،ص ص 64-82.
- يوسف جاغلار، وصالح كولن، المحمل الشريف ورحلته إلى الحرمين الشريفين، دار النيل، مصر،2015.
- Arslan, C. C.. An Alternative Panorama of the Early Modern Ottoman Empire: Ruins and Sickness in Quṭb al-Dīn al-Nahrawālī's Journey to the Sublime Porte. Gaziantep University Journal of Social Sciences, 2020..
- Blackburn, R., Journey to the sublime porte. the arabic memoir of a sharifian agent's diplomatic mission to the ottoman imperial court in the era of suleyman the magnificent, 2005.
- Chesneau, J., Le voyage de Monsieur d'Aramon : ambassadeur pour le Roy en Levant. Paris: Lerou, 1887.
- Jean Sauvaget, (1940) , Caravansérails Syriens Du Moyen-Âge: II, Caravansérails Mamelouks, Ars Islamica, vol 1, pp 1-19.

. الهوامش:

1) قطب الدين النهروالي ، البرق اليماني في الفتح العثماني، ا،ش، حمد الجاسر، الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، 1967، ص: 11-59.

2) نهروالة تقع في ولاية برودە في الدرجة 51-23 من العرض الشمتلي و10-72 من العرض الشرقي، عدد سكانها الان ما يقارب 30000 وتسمى الان بتن.

النهروالي ، المصدر نفسه، ص: 11-12.

3) عبد الرحمان بن ابي بكر بن محمد السيوطي، ولد في رجب 849 هـ /1445 م مات ابوه ولم يتجاوز الخامسة من عمره، حفظ القران وله اقل من ثمان ستنين. تلقى العلم عن جماعة من شيوخ مصر كعلم الدين البلقيني 867 هـ كان مغرماً منذ صغره بالتأليف بلغت مؤلفاته ثلاثمائة كتاب، وقد رحل في طلب العلم الى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والتكرور، وتبحر في علومٍ سبعة: هي التفسير والحديث والفقه والنحو، والمعاني والبيان والبديع. وهكان محباً للعلم على اختلاف انواعه، فقد انصرف الى دراسة جميع العلوم المعروفة في عصرهِ، حتى الطب والفلك والروحاني والحكمة والرياضيات. توفي في 911 هـ /1505م، جلال الدين السيوطي، الوسائل الى مسامرة الأوائل، مكتبة الزوراء، بغداد، 1950، ص: ز-ح.

4) محمد بن علي الشوكتني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج2. دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.س.ن، ص 57.

5) لطفي " باشا " (توفي في 970 هـ / 1562 م) لطفي " باشا " بن عبد المعين الألباني: فاضل. من وزراء الدولة العثمانية، كان زوج شاه سلطان اخت السلطان سليمان القانوني. حمل الصدارة العظمى من 1539م إلى 1541م. خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين،ج5 المجلد: 7، دار الملايين، بيروت، 1986، ص: 243.

6) النهروالي ، البرق اليماني، المصدر السابق، ص 33.

7) قطب الدين النهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تح هشام عبد العزيز عطاء، المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز، مكة، 1996، ص ص 14-15.

8) بدر الدين محمد العامري الغزي، المطالع البدرية في المنازل الرومية 1499-1577، المجلد: 1، دار السويدي للنشر والتوزيع، الامارات العربية المتحدة، 2004.

9) محمد بن عبد الله الحسيني الموسوي الكبريتي، رحلة الشتاء والصيف، تح محمد سعيد الطنطاوي، المجلد: 2. المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، 1385 هـ.

10) إبراهيم بن عبد الرحمان الخياري، تحفة الادباء وسلوة الغرباء، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980.

11) ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971، ص 5.

12) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميرى، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، مكتبة لبنان، لبنان، 1974، ص 405.

13) حسن بن ابي نمي محمد بن بركات بن محمد الحسني الهاشمي (932-1010هـ/1525-1601م) من اشراف مكة، شارك ابيه في امارتها ثم انفد بها بعد وفاته 992هـ، واستمر ضابطاً لشؤونها إلى أن توفيّ بها. الزركلي، نفسه، ج2، ص 218.

14) قطب الدين النهروالي، الفوائد السنية في الرحلة المدنية والرومية، علبة 1440، مكتبة بايزيد، إسطنبول، (مخطوط)، ص 123.

15) الغزي، المصدر نفسه، ص 22.

16) الغزي، المصدر نفسه، ص 267.

17) الخياري، المصدر السابق، ص 19.

18) كانت تتكون من قوافل الحجاج التي تفد الى دمشق مركز تجمع القافلة من العديد من البلدان وأبرزها عددا قافلة الحج الرومي - العثماني-وحجاج الفرس والهنود والافغان والمغاربة والسمرقنديين والبخاريين والروس والقفقاسين، أين يتجمعون في دمشق، محمد علي الأحمد، التأثيرات العثمانية عل طريقي الحج الشامي والمصري - دراسة مقارنة ع 3(1). Akademik Platform İslami Araştırmalar Dergisi، 3(1)، 2019، ص ص 64-82.

19) النهروالي، المصدر نفسه، ص 124.

20) النهروالي، المصدر نفسه، ص 123.

21) النهروالي، المصدر نفسه، ص 138.

22) قرية تيزين المشار اليها هنا تذكر احياناً باسم تيزين العمق للتفريق بينها وبين قرية تيزين الواقعة غرب حماه، وتقع حالياً داخل الجمهورية التركية على 45 كم غرب حلب وحوالي 8 كم شرق مدينة الريحانية، قطب الدين النهروالي، الفوائد السنية في الرحلة المدنية والرومية، 1440، مكتبة بايزيد، 1557،ص: 138، Jean Sauvaget , Caravansérails Syriens Du Moyen-Âge: II, Caravansérails Mamelouks, Ars Islamica, vol 1, 1940, pp 1-19، احمد وصفي زكريا، جولة اثرية في بعض البلاد الشامية، المجلد: 2 سورية: دار الفكر، 1984، ص 72.

23) النهروالي، المصدر السابق، ص 141.

24) النهروالي، المصدر نفسه، ص 139.

25) يوسف جاغلار، وصالح كولن، المحمل الشريف ورحلته إلى الحرمين الشريفين، دار النيل، مصر،2015، ص 11.

26) النهروالي، المصدر السابق، ص 138.

27) ولقد تم ذكر اسم هاته القلعة في كتاب جون تسنو رحلة السيد أرمون سفير الملك الفرنسي هنري الثاني الى الشرق. Chesneau, J. Le voyage de Monsieur d'Aramon : ambassadeur pour le Roy en Levant. Paris, 1887, Leroux, p. 145.

28) النهروالي، المصدر السابق، ص ص 139-140.

29) النهروالي، المصدر نفسه، ص ص 139-140.

30) الأمير بايزيد او بالتركية شاه زاده بايزيد 1525-1561 الابن الثالث للسلطان سليمان وزوجته خرم الذي كان يصغر اخاه سليم الثاني بأكثر من سنة بقليل ،اكن حسب المختصين كان الأنسب للحكم والاقرب لخصال ابيه ،وكانت المنافسة على العرش شديدة بينهما لكنها الى حد ما تحت سيطرة والدتهما اين تم ارسال الأمير بيازيد كحاكم لأماسيا في 1558 ليتم ابعاده عن إسطنبول، لكن اشتد الصراع بينهما بعد وفاة والدتهما وحاول السلطان سليمان تهدئة الوضع بإرسال مبعوثين للطرفين بين الحين والأخر، حتى وصل الامر بينهما لصدامات عسكرية مثلما حدث في واقعة قونية، ومن بين الذين ارسلهم لسليم الثاني محمد باشا الذي كان يتمتع بذكاء كبير والذي أوصل سليم الثاني لسدة الحكم في النهاية بعد ان تم القضاء على الأمير بيازيد هو وكل افراد اسرته بعد التآمر عليه وخداعة من قبل شاه ايران طهمسب الذي لجا اليه في 1560 ,Shaw. S., History of The Ottoman Empire and Modern Turkey, vol: VI, Australia: Cambridge University press, 1976, p. 110.

31) النهروالي، المصدر السابق، ص ص 143-144.

32) الغزي، المرجع السابق، ص 90.

33) الخياري، ص ص 197-198.

34) النهروالي، المصدر السابق، ص 146.

35) الكبريتي، المرجع السابق، ص ص 142-143.

36) الغزي، المرجع السابق، ص 121.

37) Arslan, C. C.. An Alternative Panorama of the Early Modern Ottoman Empire: Ruins and Sickness in Quṭb al-Dīn al-Nahrawālī's Journey to the Sublime Porte. Gaziantep University Journal of Social Sciences, 2020, pp. 661-67

38) النهروالي، المصدر السابق، ص 154.

39) النهروالي، المصدر نفسه، ص 156.

40) خريطةطريق رحلة النهروالي.

41) Blackburn, R., Journey to the sublime porte. the arabic memoir of a sharifian agent's diplomatic mission to the ottoman imperial court in the era of suleyman the magnificent, 2005, p. 14.